النسخة العربية و الأصلية

العالم الأزرق

فاكر باب الله

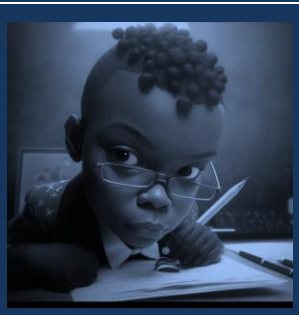

الكاتب :

فاكر باب اللّه من تونس بالتحديد من ولاية قابس. ولد في العشرين من جمادى الآخرة سنة احدى و عشرين و أربعمائة و ألف للهجرة الموافق للثامن عشر من شهر سبتمبر عام ألفين ميلادي، بمدينة جرجيس. درس الآداب في معهد الظويهر ليتحصل على شهادة الباكالوريا في عام تسعة عشر و ألفين قبل أن يلتحق بجامعة اللغات الواقعة بمدينة قابس ليتحصل على الاجازة في اللغة الإيطالية في عام اثنان و عشرين و ألفين.

بدأ فاكر الكتابة في سن السادس العشر حيث كان يكتب القصائد و الخواطر ليصل لمائة و واحد قصيدة آخرها بعنوان " العودة " من ثم انتقل لكتابة الكتب القصيرة و هو نوعه المفضل حيث كان يقول دوما : " لنكن منطقيين فمن الصعب أن نجد اليوم شاب يقرأ كتاب بخمسمائة صفحة فالأمر قد يبدو صعبا طبعا يوجد استثناء فلا بد بأن أتماشى مع عصري و أبدع بالكتابات القصيرة ". حيث قام بنشر خمس كتب أربعة منها باللغة العربية و هي : المتأمل، العالم الأزرق (هذا الكتاب)، ساي المغامر و لعبة الزمن. أما الكتاب الخامس باللغة الانجليزية فكان بعنوان " مملكة قلبي ". هذا بالاضافة لكتابته لمقولات أشهرها : " رآني العدو بالقرب قرابة فلما قربت شعرت بنفسي بعيد ". لم يكتفي ابن قابس بهذا فقط بل و انتقل الى عالم الموسيقى أيضا حيث كتب أكثر من أربعين أغنية بأنماط مختلفة حيث نشر عبر قناته باليوتيوب ألبومين، الأول يحمل أغاني بالعربية الفصحى أشهرها : لا لليأس، الصداقة و السعادة. أما الألبوم الثاني فكان يحمل أغاني باللهجة التونسية. فاكر مغرم كثيرا بالأفلام و المسلسلات الأجنبية فهو من معجبي ستوديوهات مارفل و أبطالها الخارقين.

مقدمة

اذا ما اشتكيت الى أحد و اذا أظهرت ألامي الى هذا الواقع فانني حصرته في مخيلتي فقط و أرسلته الى العالم الأزرق . فأي عالم هذا يمكن أن يكون؟ و لماذا اللون الأزرق بالظبط؟ فهذه أسئلة تدور دائما في كل من يتعرف علي حديثا، أو حتى ليس بحديث.

فمرحبا بك أيها القارئ الى هذا العالم الذي سأصفه لك في هذا الكتيب الصغير.

ملاحظة :

رجاء من أراد أخذ عبارات أو جمل معينة من الكتاب لا بد من ذكر اسم الكتاب و الكاتب لضمان حفظ حقوق المؤلف و شكرا.

قراءة ممتعة

ان كل من جاور شخصيتي المتواضعة يعرف جيدا مدى تعلقي بهذا اللون .
لكن ربما لا يعرف الكثير منكم لماذا أعشق هذا اللون بالذات و لماذا أنا مرتبط به لهذه الدرجة؟
فكل منا يملك لونه المفضل له بكل تأكيد لكن قد أظهر لكم أني بالغت في حبي و أكثرت من التطبيل له اما على وسائل التواصل الاجتماعي أو حتى في الواقع. فربما لا يوجد حدث تاريخي معين جعلني أرتبط به لكن كل ما اعرفه أن اللون الأزرق ترعرع معي و أين ما ألتفت أجده في وجهي .بالرغم من أني لا أملك لباس كثير الذي يحمل هذا اللون لكنه حاضر معي و دائما أتحدث عنه.
فلك أن تتخيل أن فاكر يذكر اللون الأزرق على الأقل مرة في كل جملتين يقولها .تعمدت بذكر فاكر و ليس كما جاء في الحديث السابق بضمير الأنا لأني الآن سأتحدث عن جانب في شخصيتي يرتكز على علم اللونيات و أنا الذي بصدد الكتابة فاكر في الجانب الأدبي ,أعلم ان في النهاية هو فاكر واحد هو الذي يكتب هو الذي يعشق هذا اللون ,أخشى الهروب من التحدث عن هذا اللون الجميل و الممتاز الذي هيمن على حياتي منذ أن كنت صغيرا.نعم ربما فتحت عيني على ألعاب زرقاء.كنت أقضي معظم أوقاتي في اللعب بتلك الألعاب الصغيرة و الدقيقة و كانت معظمها زرقاء . بكل تأكيد لن أنسى تلك السماء التي عكست مشهدها على عيني الصغيرة و أنا أحدق لثواني فيها و كنت أفكر ما سيحدث في المستقبل و كنت أفكر كيف يسود لونها ليلا فأين تذهب تلك الزرقة؟, و بالرغم من ذلك كنت واثقا من أن الأزرق سيعود من الغد و أتمتع به مرة أخرى .
طبعا لن أنسى البحر الذي لامس جسدي النحيف و غمرني و حملني في ذلك الصيف الحار ,و عندها كنت أغضب منه ,و كنت أقول له لماذا تخدعني في كل مرة أقترب منك؟ كنت أظنك أزرق لكنك بلا لون فقط لتجلبني عندك ,فكان يجيبني لا أصدقاء لي و مظهري قبيح لهذا كنت أطلب المساعدة من السماء لكي تعكس لي لونها فأبدو وسيما .
منذ الصغر تعلقت بالأزرق نعم الأزرق يا سادة ,كل حرف له مكان واسع و شاسع تزرع فيه الفواكه و الخضروات و كل شيئ ثمين .بدءا بالألف أول الحروف ,ربما الألف تعود عن أمير مضى عمره الكل يصارع و بعد وفاة والده أخذ العرش و أصبح يدافع عن تلك المملكة من ثم قرر الاستحسان و الزواج فتزوج أميرة و عاشا مع بعضهما البعض ,فحرف الألف هو الأمير

و أليس الأمراء عظماء؟و العظمة لله عز و جل. حرف الزاد هي زهرة مكثت في الحقول لكي تبعث رائحتها في الأرجاء تجعل ذلك الأنف يحلق عاليا طالبا الصمت من أخته الأذن و التركيز من أخته العين و التعبير من جاره الفم عن ذلك العطر .
حرف الراء هي تلك الرنات التي تقرع أذني فأقف محترما لأنغام ترفعني نحو مقام السرور .و أختم بالقاف و هي القوافي التي أختارها لتحلية الخواطر التي أكتبها بيدي ,هل رأيتم ما أجمل اللون الأزرق ,ما أجمل تقسيمه الى حروف وقعت في حبها ، ما أجمل الأزرق عندما أراه منسوخا على الكائنات التي تجاورني ,التي أعرفها و التي لا أعرفها .تخيل بأنني عندما أرى اللون الأزرق عدستي تأكلني فترسل اشارة الى عقلي و عقلي يدغدغ قلبي لكي استيقظ و في استيقاظي أرى هذا الجمال الواقف أمامي .تخيل يحدث لي هذا كل ما قابلني أي شيئ أزرق ,تخيل أني لا أظهر عشقي الحقيقي لهذا اللون فهو أكثر مما تتصور فقد تجاوز مرحلة الاعجاب و العشق و وصل الى مرتبة هامة في قلبي .كم تمنيت من هذا اللون أن يستحوذ علي كليا فتراني دائما في حلية زرقاء أين ما شاهدتني . لكن ذلك سيرسل مللا في كل مشاهد حتى ان كانت أمي أو أبي فسيستغربا .تخيل لو كان اللون الأزرق فتاة و أحببتها بهذا الحب صدقني ربما أفوز بجائزة العاشق و الحبيب الأول في العالم .امنحوها لي بدون أن تفكروا و أعرف جيدا أنكم لن تندموا .

كم تمنيت في حياتي أن تكون الكثير من الأمور زرقاء . من أين سأبدأ يا ترى ربما سأخطو خطواتي و أبدأ ببعض الأكل . فربما أستغرب لقلة وجود منتوجات غذائية بهذا اللون و لكن لحسن حظي أنه لا يوجد , فتخيل مثلا وجود فاكهة مشهورة كالموز و الفراولة و تكون زرقاء ,كيف سيتحمل قلبي أكل شيئ أزرق و هضمه في معدتي ,كيف يمكنني أن أودع لونا أزرقا بمشيئتي كيف؟

تمنيت أن تكون كل الجدران زرقاء .تخيل فقط لو كانت كذلك لنمت الليل أحدق فيها من ثم تدخل أحلامي و أحلق في ذلك الفناء .

تمنيت أن تكون كل الملابس زرقاء لكي لا أكره أي شخص ,بكل تأكيد مقياس المحبة و الكراهية ليس بالملابس و لكني عندما أرى ذلك اللون منبسطا على أحدهم تغمرني فرحة لا مثيل لها .

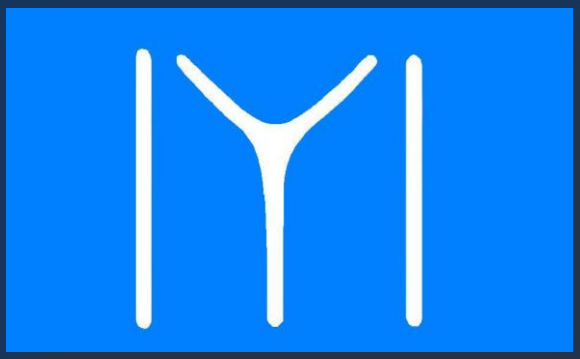

تمنيت و تمنيت و تمنيت و هذه الأمنيات كلها من أجل الأزرق من أجل هذا اللون الذي ملأ قلبي و سيطر عليه . تخيل فقط و عد الى الوراء قليلا كيف كانت يد عثمان تسقط رؤوسا كاثولوكية و تبعث تلك الأجساد الطاغية الى بئر الدماء ,تخيل كيف كانت ذراع سليمان حاكمة الأراضي الأوروبية ,تخيل كيف تحولت تركيا من دولة نامية الى متقدمة ,ربما أنت الآن مستغرب و تقول لماذا ذكرت تركيا بالذات و تحدثت على أبرز القداة ,بطبيعة الحال نعلم أن شارة العثمانيين الأولى في القرن الثالث عشر كانت زرقاء لهذا قصدتها بالذات .

لك أن تتخيل أني من كثرة ارتباطي باللون صارتن معظم الأصاحاب تتذكرني عندما يرون شيئ أزرقا ,أي كانت زهورا , و على ذكر الزهور أذكر لكم يمرور الأزرق ,يا حظي عندما ألمس هذه النبتة الزرقاء الجميلة ,تعتبر هذه النبتة من النباتات الحولية و تصنع من العائلة النجمية و يعود سبب لونها أزرق لوجود مادة البروتوساينين ,و هو نبات قابل للأكل و يستعمل لتزيين الطعام ,لكن ان كان في حديقتي مثلا فسأجعل هذا النبات كمملكة من الممالك القديمة لا يسقطها الا المرض لأني سأعدها بالاهتمام , لكن لسوء الحظ أن هذا النوع من الأزهار موجود في القارة الأوروبية لكن موجود نوعا ما في أدغال البحر المتوسط و لما تتاح

لي الفرصة و أقابل هذا العروس.

.و نعود الى حديثنا الأصلي بعد وقت مستقطع تحدثنا فيه عن الزهرة ,و قلت أن الأصدقاء يذكروننني اذا عارضهم اللون الأزرق كالأزهار أو كمناطق زرقاء ,و على ذكر المناطق أردت أن أذكركم بالمدينة الأكثر زرقة في العالم و التي توجد في المغرب تدعى بالشفشاون , فكلما ذكرتها على لساني كلما تخيلت نفسي و أنا أصول في وسطها أبحث عن بهجتي ,فلا يمكنني تخيلي نفسي أكثر من هكذا . و يعود سبب هيمنة اللون الأزرق عليها منذ القرن الخامس عشر عندما بدأ اليهود نزوحهم من اسبانيا نتيجة أعمال التطهير العرقي و الديني ضد المسيحيين و التي شهدتها البلاد في ذلك الوقت

.المهم أن تلك الأمور عندما تقابلهم يذكروني على الفور ,و كذلك عندما تقابلهم العيون الزرقاء ,و أي مشهد يمكنك أن تراني فيه عندما أرى عيونا زرقاء أمام عدساتي و خاصة بشكل مباشر ,آه يا عقلي كيف لك أن تستطيع تحمل قلبي الذي تعلق بها اللون ,صدقوني تلك العين اذا بقيت تحدقت في عيني لساعات لأصبحت عيني رسامة و نحاتة و كاتبة ألفت ألف ديوان شعري و نشرت كتبا تشتهي النفس قرائتها ,هل تعلم أن أول شيئ ألاحظه في الصور هو اذا كانت تحتوي على اللون الأزرق أو لا فاذا كانت تحتوي على ذلك اللون فان عقلي يشرع في ايجاد كلمات تليق بقيمة الأزرق , و اذا لم تحتوي فان الصمت خير جواب. هل تعلم أني عندما عندما أقابل عيونا زرقاء أظغط على قلبي و أحاول أن أبقيه ثابتا في مكانه لأن تلك العيون ستخطفه و ترسله الى عالمه عالم انعزال عشق الحي الى عشق اللونيات ,صحيح أن لون عيني و الأزرق لا يتطابقان لكن قلبي الذي لونته بنفسي يتطابق معها بكل تأكيد ,و لا شك في هذا أن كل فتاة أو فتى يحمل العين الزرقاء فهو جميل . صدقوني ان كانت تلك العيون صالحة للأكل فلن آكلها بالطبع لأني لست مستعدا لفقدان فرع من اللون الأزرق في

هذا العالم .و دائما ما تجدني جالسا أصف تلك العيون الى أن تجف أفكاري فمن الصعب نعم لن أتوقف عن وصف هذا اللون الا اذا انقرض كليا من عالمنا ,و لن أكره هذا اللون أبدا الا في حالة واحدة و هي أنك تبقى تتجسس متى هذا الانسان سيكره اللون حتى تنتهي أفكارك و تسير في متاهة رسمها عقلك و لحقك و تاه معك و تصبح مجنونا ,و بكل تأكيد عندما يتلبسك الجنون تنسى كل شيئ و هكذا تنسى أني عاشق لهذا اللون. و شيئ آخر أتحير منه و أبقى لساعات و أيام و أسابيع و أنا أراجع نفسي و هو كيف لشخص أن يكره هذا اللون؟ حسنا لم أقل أن كل الأشخاص يجب أن تتخذ هذا اللون كحب أول لكن ليس من المنطقي أن تكره هذا اللون ,بالرغم من أني مختلف و أقبل أي رأي مختلف لكن من رأيي من يكره اللون الأزرق هو يا اما عدساته خاصة و لا ترى هذا اللون أو بقيت معدلة على عصر الأبيض و الأسود أو أنه انسان غريب يعيش حالة من الاحباط و غارق وسط محيط الخمول و الكسل ,و في الأخير تبقى كلها ألوان و كل لون يدل شيئ .

هل تملك فكرة عن تلك البريئة التي تملك عيونا زرقاء لكنها خجلت من العالم لأنها تملك شيئ نادرا عن الآخرين فيا أيتها الأميرة لا تخجلي و لا تخافي مادام ذلك اللون منتمي لك فلا خوف عليك ,و ماذا عن الأخرى التي باتت حزينة بسبب شكلها فيا أميرتي الثانية أنت الأخرى أقول لك لا تبكي لكي لا تتحول تلك الزرقة الى بياض الثلج فحينها لن نرى تلك السماء.
أما عن تلك الأخرى التي أرادت أن تضع عيونا مزيفة باللون الأزرق و قامت بتلوين شعرها بنفس اللون فهنا نتحدث غن فتاة واجهت العالم و اختارت ما تحبه و ارادت أن تكشف عن حبها عن طريق ايصال هذا اللون الى اعضاء جسدها فهنا نملك أميرة ثالثة لكنها خاضعة لسلطة الأزرق .

و هكذا و بالعيون الزرقاء أستطيع القول أنني أكملت الحديث عن اللون الأزرق بعد كلام حقيقة لا يليق بهذا اللون الجميل و خاصة أنه لوني المفضل دائما و أبدا .ففعلا أردت أن أرسل الكلمات التي لم أستعملها من قبل لكي أنسبها الى هذا اللون و أردت أن أفرغ كل المعاجم التي تدور في عقلي في هذا اللون.

و هكذا ختمت سيري و توقفت خطواتي الى هذا الحد لأختم كلامي عن اللون الأزرق ,و لكن لا بد أنكم عرفتم الآن ما مكانة اللون الأزرق في قلبي لدرجة أني سميت عالما اسمه العالم الأزرق.

و أنت ماهو لونك المفضل؟

هل تحبه جدا أم فقط مجرد لون؟